

رسائل ثقافية

«الرسالة» و«الثقافة» تموتان من جديد

القاهرة ، من احمد رشدي حسين :

تصدر معها قرارات باسقاط منابر الفكر اليميني .
فما تزال القيادة الثورية في مصر تسمح بتعدد المنابر
واختلاف الآراء ، ايماناً منها باننا في مرحلة «الصراع
الكبير» بين مختلف الاتجاهات الفكرية ، بحيث ان
المنافس الحر سوف يثبت اقدام التيار الاكثر تقدماً ،
بالضرورة والحتمية . فسقوط الفكر اليميني لا يحدث
بمجرد اصدار قرار ، بل انه لا يسقط بمجرد توقف
نوع معين من المجلات عن الصدور . والحق ان المشكلة
في مجلات « كالمسألة » و « الثقافة » و « القصة »
و « الشعر » ، لم تكن مشكلة اليمين واليسار بقدر
ما كانت مشكلة المستوى الحضاري الذي كانت
تصل اليه هذه المنابر من هبوط شنيع . لا ريب ان
التخلف المزري عن مستوى العصر ، من ركائز
الفكر اليميني ، ولكن ثمة فرقاً هائلاً بين ان يعبر
هذا الفكر عن نفسه في مجلة واضحة « كالفكر
المعاصر » ، التي اختطت لنفسها من العدد الاول
منهجاً محدداً يستمد اصوله من منهج رئيس تحريرها
كاستاذ للفلسفة الوضعية ، وبين ان يعبر هذا الفكر
عن نفسه في مجلة « كالمسألة » . « فالفكر المعاصر » ،
رغم اتجاهها المعادي لليسار ، لم تنحط ولم تبذل
نفسها في مهارات من اي نوع ، بينما كانت « الرسالة »
و « الثقافة » تبدوان كمنشور تصدره جهة مغرقة
في الرجعية ، مرتين في الاسبوع ، باموال دولة
الشعب العامل .

وربما كانت مقالات الدكتور لويس عوض في
« الاهرام » حول هذه المجلات ، هي الصدى المركز
لما كانت تحتلج به صدور المثقفين نحو القائمين على
اصدارها . واذا كانت للارقام اهميتها في معالجة هذه
الموضوعات ، فان مقالات لويس عوض اوفت هذا
الجانِب حقّه في البرهنة على افلاس هذه المجلات - لا

ان الذين فوجئوا بتوقف بعض مجلات وزارة
الثقافة ، فريقان : الاول يمكن ان ندعوه باصحاب
« النية الحسنة » ، واعني بهم الجمهور المحدود من قراء هذه
المجلات ، والثاني يمكن ان نسميه بجمعية المثقفين
بميزانية هذه المجلات .

على ان الغالبية الساحقة من المثقفين لم تفاجأ بهذا
القرار الحاسم ، الذي يرى له البعض جانبين :
احدهما ايجابي ، وهو وضع الامور في نصابها بايقاف
المهازل الاسبوعية التي كانت تدار من منابر « الرسالة »
و « الثقافة » ، بشكل خاص ؛ والجانِب الآخر هو
ان القرار في جوهره يتسم برد الفعل الذي قد يترك
اثراً من المראה . فقد كان الاول لا تصدر هذه
المجلات من البداية بالصورة التي صدرت بها ، او
تصدر بعد تخطيط واعٍ دقيق باحتياجات المرحلة
التي تحتازها مصر والامة العربية .

وليس صحيحاً ما يقال من ان سقوط مجلات
وزارة الثقافة ، هو سقوط مباشر للفكر اليميني في
مصر ، كما انه ليس صحيحاً على الاطلاق ان قرار
الايقاف اتخذ بعد دراسة احصائية للربح والخسارة .
فلا شك ان المجلات والمسارح والمعارض التي تشرف
عليها الدولة ، لا تستهدف الربح بقدر ما تستهدف
تيسير الثقافة لجمهور الشعب القارئ ، وغير القادرة
على تلبية الاسعار المرتفعة . ومع هذا تبقى حقيقة
موضوعية خطيرة ، هي انه اذا كانت الدولة تقدم
الثقافة الجادة الى الجمهور انقاريء باسعار زهيدة ،
فهذا شيء مختلف عن ان تكون هذه الثقافة الجادة
طعاماً دسماً لفئران وصراصير مخازن ادارة المجلات
الآيلة للسقوط بما تحمل من اطنان الورق المطبوع .
اما مسألة اليمين واليسار في الثقافة المصرية ، فلم
تصل بعد - في مستوى السلطة - الى الدرجة التي

من اموال الميزانية، وانما افلست من انعدام ثقة القارئ بها . الا ان لغة الارقام لا تستوعب القضية من جذورها، بل هي تجسد النتيجة النهائية من احد الجوانب، وهو الحصيلة الاقتصادية .

هناك لغة اخرى لا بد من التحدث بها في صراحة ووضوح، ونحن بصدد مثل هذا الموضوع . تلك هي لغة « التخطيط الموضوعي » لمنابر الثقافة في بلادنا . فنحن نحسن الظن بكائنا الى ابعد مدى، حين نتصور ان امثال احمد حسن الزيات ومحمد فريد ابو حديد، (الذين لعبا دورا هاما قبل ثلاثين سنة)، من الوجوه القادرة على حمل عبء هائل كالاشراف على تحرير مجلة ثقافية معاصرة . ان امثال هذين الرائدین، يجب ان يستريحوا من عناء الطريق الطويل المضني الذي افنوا زهرة عمرهم في شقه لنا . يجب ان نتيح لهم فرصة هائلة لشيخوخة سعيدة تبارك خطوات الاجيال الجديدة التي ولدت من صلبهم ومن نضالهم . والاجيال الجديدة هي الاجيال المعاصرة التي لا تعيش في ظل شيخوخة الرواد، وانما هي تتجاوزهم الى مستوى العصر الذي تحلفوا عنه بحكم الزمن او الظروف .

هذه هي النقطة الاولى، نقطة الاختيار الحر الصارم للقيادات الفكرة، القادرة على حمل العبء في مرحلة تحول مجتمعا من قيم الاقطاع والاستعمار والراسمالية الى قيم البناء الاشتراكي . فلا ينبغي ان نبالغ في تقديس الماضي لدرجة ان تعمى عيوننا عن الحاضر، وتكف عقولنا عن رؤية المستقبل . ومصر التي قامت بثورة تموز (يوليو)، مصر التي تبني السد العالي، تلك من الكفاءات الفكرية ما يرتفع بثقافتنا الى مستوى الثورة ومستوى السد العالي . انما علينا ان « نخطط » للاختيار، كما نخطط للاقتصاد . واختيارنا للاشخاص لن يكون في مقدمة التخطيط الثقافي، وانما سيكون من نتائجه . فالقمة يجب ان تنحصر في دراسة احتياجات المرحلة الحضارية التي يحتاجها مجتمعنا الآن : ما هو المجرى الرئيسي لهذه المرحلة الحاضرة ؟ ما هي الروافد التي يمكن ان تمده بكل ما هو مخصص ومثمر ؟ ماذا يستطيع ان يحمل من تبعات ؟ ما هو منسوبه الحالي، والمنسوب الذي يمكن ان يرتفع اليه ؟ من اين ينبع، وفي اي شيء يصب ؟

هذه نماذج من ملايين الاسئلة التي تصوغ التخطيط الشامل لبنائنا الثقافي . وحينذاك يقود الحديث عن المجالات الى الحديث عن بقية مؤسساتنا الثقافية : الى المجلس الاعلى للفنون، الى جمعية الادباء، الى الدار القومية، الخ . فالتشريع والتنفيذ في الحقل الثقافي لا بد من ايجاد تنسيق كامل بينها، في « الرجال والعتاد » كما يقال، او في « الاهداف والوسائل » كما ينبغي ان نقول . عندئذ لن نفاجأ بمجلة « كالرسالة » تؤكد بلهجة يقينية انه كما تأمر الغرب على الوحدة الاسلامية باقامة حكم محمد علي في مصر، كذلك يتأمر اليوم بالدعوة الى القومية العربية، فهي ليست الا مؤامرات غربية ضد الجامعة الاسلامية ! ولن نفاجأ - وهذا هو المهم - بقرار يأمر بايقاف المجالات التي تصدرها وزارة الثقافة ! واذا كانت هذه المجالات قد ضربت رقما قياسيا في كسب اكبر عدد من « الشامتین » في توقفها عن الصدور، فان مجالات الفكر الثوري « كالطلیعة » و « الكاتب »، تكسب المزيد من التأييد والثقة يوما بعد يوم . فبالرغم من القرابة الفكرية بين المجلتيين، الا انها، من الاعداد الاولى، تتميزان بالتخطيط الواضح، وهو الارتباط الحر العميق بمشكلات الفكر الثوري وقضايا الشعب .

وليس من العسير ان نقف على العديد من الصعاب والعقبات التي تعرقل المجالات الثورية بشكل عام، والمتخصصة منها في القضايا النظرية بشكل خاص . الا ان العقبة الاولى التي تواجه « الكاتب » و « الطلیعة » هي غياب الكادر السياسي المنظم الذي يستطيع، في اطار الاتحاد الاشتراكي العربي، ان يكون همزة الوصل بين المستوى الاكاديمي للمجلتيين والمستوى الثقافي الراهن للجماهير الشعبية . وبالرغم من ان نشرة « الاشتراكي » التي تصدرها امانة الدعوة والفكر، تؤدي هذا الدور الى حد ما، الا ان الجانب النظري في « الكاتب » والجانب التطبيقي في « الطلیعة » لا يتكاملان الا بواسطة فريق من المناضلين الثوريين القادرين على توصيل هذا الفكر الثوري الى مجال العمل الواقعي للجماهير، حتى لا يتحول الى مقولات جاهزة وجامدة على السنة المثقفين المحنطين في مقاعد شبرد وسميراميس . فالتفاعل بين الفكر والعمل هو

الامكانية الوحيدة للبقاء على ثورية الفكر وتطوير العمل .

ان ازدهار « الكاتب » و « الطلبة » انتصار ضخم للمثقفين الثوريين ، ولكنها معا يجب ان تتجاوزا هذه الخطوة الى ما هو ابعد ، الى صميم الشعب العامل . فيها الامل الوحيد في هذا الحواء الرهيب من المناير الجادة ، الامل في الحصول على امتدادات اكثر ازدهارا « للمجلة » الجديدة و « التطور » و « الفجر الجديد » ، وغيرها من مجلات ومنابر النضال الثوري للثقافة المصرية المعاصرة .

والحديث عن المجلات الثورية، يجرنا الى الحديث عن احد رواد الفكرة الاشتراكية في اللغة العربية، وهو المفكر المصري العظيم سلامة موسى . فقد وفدت ذكره السابعة ، والبلاد تتأهب لتحقيق احلامه في مصر الاشتراكية .

وسلامة موسى ليس مجرد تراث فكري ربما نستطيع الاستغناء عنه اليوم بما هو اكثر دسامة وعقاء، ولكن سلامة في الاساس تراث نضالي لفكرة ظلت تدوسها الاقدام في السجن والمعتقلات والمنافي، امدا طويلا . فنحن عندما نذكر سلامة موسى لا نذكر اسماء خمسة واربعين كتابا تبدأ « بمقدمة السوبرمان » عام ١٩٠٩ وتنتهي « بمعجم الافكار » الذي لم ينشر بعد . كلا ، وانما نذكر قرابة نصف قرن من اللهاث والعرق والصمود من اجل تغيير المجتمع الاقطاعي البرجوازي شبه المستعمر ، الى مجتمع حر متقدم . فالحق انه لن يبقى من سلامة موسى سوى « الرمز » الى كفاح الفكرة الاشتراكية في مصر خمسين عاما او يزيد . وربما تدل الاحصاءات على ان قراء سلامة موسى زادوا عددا بعد وفاته عام ١٩٥٨ ، ولكن هذه الزيادة مؤقتة الى حد كبير ، لان سلامة موسى كفكر لم يعد هو التعبير الامثل عن حياتنا الجديدة . فلقد اصبحت حياتنا ابعاد ودلالات جديدة لم تعش في ذهن سلامة ولم تعرفها تجربة حياته ؛ لهذا فهو كتراث ثقافي لن يلهمنا كثيرا ، كما كانت تلهمنا حياته وفكره خلال السنوات الطويلة الماضية . فالباقي من سلامة موسى ، لنا وللجيال القادمة ، هو « القيمة » التي رصد لنا حياتها من اجلها ، وهي ان ننذر ذواتنا للاشتراكية ،

فكرا وسلوكا . لقد لاقى في سبيل هذه القيمة غتنا مذهلا واضطهادا مريرا ، فقد وقف وحده في الميدان مرحلة طويلة ضد اعق القوى الرجعية من العرش الى الاستعمار الى كنهه الاقطاع من المضللين باسم الدين .

بل ان هذا النفوذ الرجعي قد نجح في ان يمتد اثناء الثورة ويلقي ظله البشع على حياة هذا المفكر المناضل ، تارة باسم « العروبة » واخرى باسم « الاسلام » . ولم يصب سلامة كغيره بعقده « الاقلية » ازاء هذه المقدسات ، فظل كاتباً حراً الى آخر لحظات حياته ، يدلي الى قرائه بما يراه حقا وصوابا، مها كان هذا الحق والصواب يصدمان اعز الناس اليه .

وبالرغم من ان سلامة موسى كان المفكر الاشتراكي الوحيد الذي استقبل ثورة قنوز (يوليو) ١٩٥٢ بفهم علمي سليم دفعه لان يقف مع طلائع حمايتها عن وعي واقتناع وايمان، الا انه ظل مقصيا عن منابر الثورة تحت ضغط المؤامرات الرجعية ضد الفكر الاشتراكي . فقد استطاعت هذه المؤامرات ، كما قلت ، ان تحيط وجه سلامة موسى بسحب من الشك في موقفه من العروبة والاسلام .

حالت هذه المؤامرات مرة اخرى دون تقييم الفكر الاشتراكي في بلادنا ، وتسجيله وتحليله ، حتى نضع موقف سلامة موسى من العروبة والدين في اطار موقفه العام من المجتمع والحضارة . فلا شك ان عزل مواقف جزئية عن الموقف العام يؤدي الى تشويه الحقيقة الموضوعية . هذه الحقيقة التي تقول ان « الفكرة المصرية » كانت تعبيرا ثوريا عن الحركة الاجتماعية في مصر خلال العشرينات والثلاثينات من هذا القرن . وكان العقاد وطه حسين وهيكمل وسلامة موسى و عبد القادر حمزة وغيرهم يلتفون حول هذه الفكرة التي تجسدت في شعار « مصر للمصريين » وليست للتراك او الانكليز . فليس من المعقول اذا ان تأتي في الستينات ، حين اصبحت الفكرة المصرية « فعلا ماضيا » ، لنحاسب هؤلاء الرواد بميزان الحاضر . ولعل اولئك الذين يدافعون عن العروبة الآن ، مهاجين سلامة موسى بمقتطفات من كتاباته عام ١٩٢٨ ، هم اولئك الذين كانوا يلشون في الدفاع عن الملكية

والاستعمار في ذلك الوقت . ان الفكرة العربية لم تكن احد عناصر المرحلة التاريخية التي عاشها الرواد ، بل كانت تحمل مضمونا مختلفا عن مضمونها اليوم .

هذا من ناحية « العروبة » ، اما من ناحية « الدين » فقد ينفرد سلامة موسى عن بقية ابناء جيله من كتاب الثورة الوطنية الديمقراطية ، في التزامه بالمنهج العلمي الذي يرفض الغيبيات كساس للمعرفة . ولن نجد في واقع الامر حرفا واحدا في تراث سلامة موسى ضد الاسلام ، ولكن حين يكتب عن حرية الفكر او نظرية التطور كادوات لا بد منها للمعرفة العلمية ، فانه بلا شك يس الاديان كمنهج غيبي . على ان موقفه من الاسلام بالذات كان موقفا موضوعيا حين كتب يمجّد ما به من قيم ايجابية بعيدة عن غشاوة الغيبيات في المسيحية .

اذّا ، فنحن اذا لم نعوّل موقف سلامة من العروبة والاسلام عن موقفه الفكري العام ، نستطيع ان نحصل على مفكر تقدمي بارز في تاريخنا الحديث ، حمل لواء الكفاح من اجل الفكرة الاشتراكية ، فاسهم بكل ما يملك من امكانيات في مختلف اشكالها العملية والفكرية .

لهذا يبدو لنا سلامة موسى رمزا للنضال المصري من اجل الاشتراكية ، وتأتي ذكره كمناسبة لضرورة تغيير الموقف الرسمي من هذا المفكر العظيم ، بل وتغيير الموقف من تاريخ الفكر الاشتراكي في مصر ، حيث يحتاج الى دراسات موضوعية تضع كل فكرة وكل انسان في مكانه الصحيح من حركة التاريخ . من هنا نخي مجلة « الطليعة » التي افردت قسما كبيرا من صفحاتها لدراسة تراث سلامة موسى .

موسم حاسم في المغرب

الرباط ، من محمد اديب السلاوي :

انتمشت الحركة الفنية بالمغرب وخطت خطوات مهمة الى الامام هذا الموسم ، بعد الركود الذي اكنفها في السنوات الاخيرة ، الناتج عن اهمال المصالح الادارية المسؤولة عن الفنون في البلاد . ويمكن اعتبار الموسم الفني الحالي انطلاقة جديدة في حياة الفنون الجميلة بالمغرب ، بعد الاهتمامات الادارية والادبية التي توجهت نحو الفنون ونحو رفع مستواها وجعلها تضاهي الحياة الاجتماعية والفكرية بالمغرب .

فبالنسبة للمسرح اسندت الادارات المركزية لمسرح محمد الخامس (وهو اكبر المسارح في شمالي افريقيا) والمسرح البلدي بالدار البيضاء ومسرح الجديدة ، لأول مرة في تاريخ المغرب المستقل ، الى فنانين مغاربة - الشيء الذي عزز الحركة المسرحية وجعلها ، ولو من الناحيتين الادارية والشكلية ، تستمر بنشاط ملحوظ طوال شهور الموسم ، بعدما كانت مهانة من طرف المسؤولين الفرنسيين الذين كانوا حتى ١٩٦٤ يحتلون الاطارات الفنية بالبلاد .

وبالنسبة للرسم ، تشكلت مع بداية الموسم ، ولأول مرة ، جمعية الفنون الجميلة ، التي انطوى تحت لوائها جميع الرسامين المغاربة . وعقدت هذه الجمعية مؤتمرها الاول واتخذت فيه قرارات ايجابية ، ثم اشرفت بنفسها على معظم المعارض الفنية المغربية لهذا الموسم .

اما في الميادين الاخرى فقد اولت الدولة الفوكور والمعاهد الموسيقية ومدارس الفنون التشكيلية اهتماما كبيرا هذه السنة ، ووضعت لها برامج وخططا لا بد وان تعطي ثمارها في المستقبل . كما ان النقّاد المغاربة تحرّكوا في هذا الموسم بعد غياب طويل ، وقيموا باخلاص كل انتاج ، وحاولوا جهدهم توجيه الحركة لصالح الاتجاه التقدمي في البلاد .

ولدت الحركة المسرحية في المغرب منذ نحو اربعين سنة ، في مجتمع ليس له سابق معرفة بالمسرح وبالأدب المسرحي . فعاش اول حياته في فقر مدقع في موارده الادبية والمادية ، خاصة وان المجتمع كان لا يهيم المسرح بقدر ما يهيم الفوكور والموسيقى